

إشكالية تعدد مصطلحات نحو النص في الدراسات العربية

The Problem of Lexical Variation in Arabic Linguistic Studies

سعاد زنير *

أ.د. ذهبية بورويس *

تاريخ النشر: 2025/06/20	تاريخ القبول: 2025/01/17	تاريخ الإرسال: 2024/01/25
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

تفتح اللسانيات العربية على الدراسات اللسانية الغربية بفروعها، إلا أن هذا الانفتاح جعلها تعاني اضطرابا وإشكالا على مستوى أغلب مصطلحاتها المترجمة. وما "نحو النص" إلا واحد من هذه الفروع، فقد شهد إشكالا كبيرا من حيث ترجمة مصطلحاته في الدراسات العربية، ولعل أبرز صعوبة يواجهها "نحو النص" في الدراسات العربية هي ذلك التعدد الكبير والمتنوع للمصطلحات العربية فيه، ويتعلق هذا التعدد بمسعى النظرية ومفاهيمها كالنص والخطاب، وبالمصطلحات الخاصة بالمعايير النصية مما أدى إلى صعوبة توحيدها نظريا وتطبيقيا. ولهذا يعد "نحو النص" وتعدد مصطلحاته في الدراسات العربية موضوعا يثير إشكالات لغوية وعلمية كثيرة قابلة للدراسة والتحليل.

الكلمات المفتاحية: نحو النص، تعدد المصطلح، معايير النصية.

* جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة،

souadzennir635@gmail.com

* جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة،

Ahmedbadrbenmilat@gmail.com

Abstract:

Arabic linguistics opens up to Western linguistic studies in all its branches, yet this openness has led to disturbance and complexity in most of its translated terminology. "Text Linguistics" is one of these branches, facing significant challenges in terms of translating its terms in Arabic studies. Perhaps the most notable difficulty encountered by "Text Linguistics" in Arabic studies is the substantial and diverse multiplicity of Arabic terms associated with it. This diversity relates to the terminology of the theory and its concepts, such as text and discourse, along with the terms specific to textual standards. This has resulted in the theoretical and practical difficulty of unifying these terms. Therefore, "Text Linguistics" and the diversity of its terminology in Arabic studies constitute a subject that raises linguistic and scientific challenges, subject to study and analysis.

Key words: Textual Grammar; Terminological Diversity; Textual Standards.

*** **

المؤلف المرسل: سعاد زنير souadzennir635@gmail.com

مقدمة:

تجمع الدراسات العلمية والأدبية على أن المصطلح يعد مفتاحا لولوج العلوم واللغات والمعارف جلها، وسببا رئيسا لتحصيلها واستيعاب مضامينها، لأنه سمة من سمات المعرفة بها تعرف العلوم وتخصصاتها. فب المصطلح تتعارف الأجيال، وتتجاوز الحضارات وتتمازج، وبفضله تتقدم الأمم.¹ فلا سبيل إلى فهم أي علم وتحصيله دون فقه المصطلحات، ولا يتم تحليل وتعليل ظواهر أي علم دون معرفة دقيقة بالمصطلحات ومفاهيمها.

لقد بدأت المعرفة الإنسانية بعلم الأسماء، فمنذ خلق الإنسان ووجوده على ظهر البسيطة، كان لا بد له من علم بالأسماء كلها، ولم يكن ذلك إلا بقدره البارئ، يقول عز وجل: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾². وما علم الأسماء إلا علم بالمصطلحات المختلفة.

وكما وهب الخالق المناعة والشدة والقوة لمن شاء من خلقه، كذلك كان الخطب والشأن لبعض "الكلم" فقد كتب لها الذبوع والبقاء والثبات على مر السنين. فمنها ما كان منقوشاً على الجدران أو مزبوراً في الألواح أو الصحف المسطورة، فتوارثها الخلف عن السلف وتناقلها اللاحق عن السابق. ومنها ما انتقل من لغة إلى لغة أخرى، فكتب لها الاستعمال والتداول والانتشار والديمومة. وما المصطلح إلا من هذا القبيل الأخير فقد كتبت له قوة الاستعمال والتداول، وسلطة الثبات والديمومة، فأصبح علماً بالغلبة.

ولعل التطور السريع في التعاون والتبادل المعرفي في مختلف الحقول العلمية والأدبية، كان سبباً ضرورياً لميلاد علم جديد يسهل هذا التعاون وينمي علاقات التبادل في مختلف الخدمات الإنسانية، فلجأ العلماء المتخصصون واللغويون والمعجميون إلى وضع وتطوير علم جديد سَمَّوه "علماً لمصطلح" أو "المصطلحية"، وهو علم يبحث في العلاقة القائمة بين المفاهيم العلمية والألفاظ اللغوية المعبرة عنها وعلم المصطلح مشترك بين علوم عديدة، كالفلسفة واللسانيات والإعلام والعلوم الطبية وكذلك اللغة الحاسوبية.... وكل ما له علاقة بالتعاون العلمي والتبادل المعرفي وتطويرهما...³

وعلى الرغم من أهمية "علم المصطلحات" ودوره في إنماء التبادل المعرفي بين مختلف الجماعات اللغوية وفي مختلف الميادين المعرفية، إلا أنه يعاني إشكالية فوضى النقل وأزمة التعدد. وما حقل "نحو النص" في الدرس العربي إلا واحد من الحقول المعرفية واللسانية الكثيرة التي تعاني صعوبة توحيد المصطلح المترجم، إذ عرف إشكالا كبيراً في نقلاً لمصطلح وترجمته من جهة، والمصطلح وتوحيده من جهة أخرى، فالمصطلح الأجنبي واحد في الغالب، في حين تتعدد المصطلحات العربية المرادفة له بشكل ملفت.

ويرجع سبب هذا الإشكال إلى طريقة النقل وتحويل هوية هذا المصطلح اللساني المترجم، والبحث عن مقابله في اللغة العربية، وتعذر التجانس بينهما في بعض الأحيان. ولذلك فالتكامل بين المصطلح في نحو النص وترجمته إلى اللغة العربية يعد موضوعاً مهماً، يثير إشكالات علمية ومصطلحية متعددة سنتطرق إليها في هذه الورقة البحثية نذكر منها:

إشكالية الفوضى التي تتخبط فيها مصطلحات نحو النص في ظل التعددية المصطلحية العربية، وصعوبة ضبط وتوحيد هذه المصطلحات عند الدارسين العرب، مع رصد السياقات التي ورد فيها استعمال المصطلحات المترجمة في هذه النظرية وتوظيفها.

ومن أهم المحاور التي سنتناولها هذه الدراسة ما يلي:

- مفهوم المصطلح وتطوره في الدراسات العربية.
- آليات توليد المصطلح العربي ووضعه.
- إشكالية تعدد المصطلح العربي في نحو النص وصعوبة توحيده.

1. مفهوم المصطلح وتطوره في الدراسات العربية:

1.1. تعريف المصطلح في اللغة والاصطلاح:

المصطلح في اللغة من الفعل المزيد اصطلح يصطلح، والفاعل منه مُصْطَلَحٌ، واللفظ مُصْطَلَحٌ عليه، هذا هو التحديد الصرفي لهذا الفعل المزيد، ومادته من "صَلَحَ" او "صَلَحَ" بمعنى زال الفساد، أما المعجمي فالاصطلاح هو تواضع قوم واتفاقهم على تسميه شيء باسم ما منقول عن موضعه الأول الذي وضع له في الأصل. أو هو إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى معنى آخر لمناسبة بينهما وذلك لبيان المراد.⁴ أي نقل اللفظ من وضعه الأصلي القديم إلى وضع ثانٍ عرفي جديد، يتم التواضع عليه بين طائفة معينه في أي علم من العلوم، فيكتسب الوضع الثاني دلالة إجماع مطلق ويذيع استعمالا وتداولاً وهو ما يطلق عليه لفظ "مصطلح".

وأما تعريف المصطلح اصطلاحاً فيمكن أن نوجزه في هذا التعريف الألماني المترجم الجامع لكل جوانبه: "الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية عبارة مركبة استقر معناها أو بالأحرى استخدامها وحدد في وضوح، وهو تعبير خاص ضيق في دلالته المتخصصة، له ما يقابله في اللغات الأخرى، يرد دائماً في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد..."⁵.

وتعد المصطلحات المفاتيح الأساسية لولوج أبواب العلوم والتحكم في أدواتها الإجرائية، وأبجدية خاصة لفهم المعارف وتحصيلها، فيها تتمايز العلوم وتختلف، فلكل علم من العلوم جهازه المصطلحي الخاص به الذي يميزه عن غيره. وفهم أي علم سواء أكان قديماً أم حديثاً مرتبط بفهم المصطلحات الحاملة والناقلة لأفكاره ومفاهيمه وتصوراتهِ.

2.1. بذور علم المصطلح عند العرب قديماً وتطوره حديثاً:

كان لعلم المصطلح جذور تأصيلية في التراث العربي العلمي والديني واللغوي والأدبي، فمنذ مجيء الإسلام وانفتاح العرب على الثقافات الأخرى، أصبح لكل علم من علوم العربية مصطلحاته التي استقلت في مؤلفات خاصة. فأصبح للفقه مصطلحاته وللتفسير والحديث ولعلم الكلام، وللنحو وللبلغة ولللنقد وللعروض، ولللطب وللكيمياء كذلك مصطلحات خاصة بها.⁶

وبفضل الإسلام ازدهرت الأمم والحضارات، وتوسعت العلوم والمعارف، وامتزج العرب بالحضارات السابقة وتفاعلوا معها فتأثروا بها وأثروا فيها، فاحتاج العرب إلى مصطلحات تعصم معارفهم من التشتت. فكان أول مصدر للمصطلحات هو القرآن الكريم، لأنه هز الأفكار العربية، بجعلها تتفاعل مع القيم الجديدة بمصطلحات جديدة لم تكن مألوفة لديهم.⁷

أما عن استعمال لفظ "مصطلح" في الدرس العربي القديم، فقد كان لعلماء الحديث السابق في توظيفه في بعض مؤلفاتهم مثل: "الألفية في مصطلح الحديث" للزين العراقي، ومؤلف الحافظ العسقلاني "نخبة الفكر في مصطلح الأثر"، وكتاب الرازي "الزينة في المصطلحات الإسلامية العربية"، الذي تناول فيه تطور العلاقة بين المصطلحات الشرعية واللغوية.⁸

وقد وظف ابن جني لفظ "اصطلاح" عند حديثه عن أصل اللغة أي إلهام أم اصطلاح؟⁹ كما ورد لفظ اصطلاح بلفظه في كتاب "شرح عمدة الحافظ وعدة الالفاظ" لابن مالك، فحد المؤلف اسم الفاعل في الاصطلاح، معرفاً إياه بأنه الصفة الصريحة.

وقد ذكر ابن خلدون لفظ "مصطلح" في الفصل الحادي والخمسين من مقدمته مفسرا لكلمة الذوق في "مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه".¹⁰

ومن خلال هذا العرض الوجيز لظهور واستعمال لفظ "اصطلاح" أو "مصطلح" في التراث العربي، فإن أغلب الدراسات تجمع على أن استعمال العرب للمصطلحات الشرعية ومصطلحات الفقه وعلوم العربية نحو وصرفا وبلاغة قديما، قد انبثقت من الفكر اللغوي العربي بعد الإسلام وذلك بغية تفسير القرآن الكريم ونشر الدين الإسلامي. أما في العصر الحديث فلم يخف "علم المصطلح" عن الدارسين العرب المحدثين منذ فجر النهضة، فهم أيضا ساروا على نهج القدماء باهتمامهم بموضوع المصطلحات. حيث عكف العديد من الباحثين والمترجمين المتخصصين على وضع معاجم متنوعة لمصطلحات العلوم على اختلاف ميادينها وتنوع اختصاصاتها، فكثرت النقل من اللغات المختلفة وازدهرت حركة الترجمة.¹¹

ومن هؤلاء نذكر الشيخ "رفاعة الطهطاوي" الذي تخصص في ترجمة المصطلحات الغربية، وألف معجما صغيرا في أول كتابه "قلائد المفاهر في غريب عوائد الأوائل والأواخر"، جامعا فيه بين اللغتين العربية والفرنسية. أما "الشدياق" فله الفضل الكبير في الإحاطة بالعديد من قضايا المصطلح العلمي، بوضعه الكثير من المصطلحات العلمية والحضارية¹² وأما "مصطفى الشهابي" فقد نبه في كتابه "المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث" إلى ضرورة الاهتمام بقضية المصطلحات، لأنها أهم قضية لجعل لغتنا العربية صالحة للتعليم العالي وللتعبير عن الحياة العصرية ومواكبتها. وقد أولى عبد السلام المسدي علم المصطلح أهمية كبيرة، وأكد على دوره الفعال في تحصيل العلوم وإدراكها وتعليمها.

كما دعت الحاجة إلى العمل المصطلحي، لظهور مجامع لغوية علمية مهمتها نقل المصطلحات ووضعها، وجمعها وفقا لميادينها وموضوعاتها، ومحاولة حل مشاكل تعدد ترجمتها، والعمل على توحيدها وتطوير اللغة العربية للتعبير عنها بدقة. فألف الباحثون العرب العديد من الكتب حول إشكاليته توحيد المصطلحات المنقولة عن الدراسات الغربية، ولعل أهمها كتاب "إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي ..." "ليوسف

وغليسي"، ومؤلف اللساني "يوسف مقران" "المصطلح اللساني المترجم مدخل نظري إلى المصطلحات"، و"الكتابة اللسانية العربية وإشكاليات المصطلح التداولي" "لنعمان بوقرة"، و كثير من الدراسات والبحوث التي ركزت على أهمية توحيد المصطلح في الدراسات العربية في مختلف الحقول اللغوية والأدبية والنقدية.

2. آليات توليد المصطلح العربي ووضعه:

تعد المصطلحات خلاصات كل العلوم، ورحيق المعارف المختوم، فهي أبجدية التبادل المعرفي ومفاتيحه الأولى للتواصل والتحصيل، لأن اللغة المصطلحية بمثابة ملتقى الثقافات الإنسانية ومركز العواصم اللغوية المتباعدة، ويمكن أن نحكم عليها بأنها لغة العولمة بامتياز كبير.¹³

ولما كان لعلم المصطلح هذه المكانة الثقافية والفكرية والعلمية، وجب على العلماء والباحثين والمُعجميين والمترجمين العرب إيجاد آليات لتوليد المصطلحات، حتى تستطيع اللغة العربية التعبير عن الكثير من المفاهيم والتصورات الجديدة بصورة واضحة وأهم تلك الآليات هي:

1.2. المجاز والنقل: وهو أن نستعمل اللفظ في غير موضعه الأصلي الحقيقي فننقله إلى استعمال مجازي، لوجود علاقة بين محل الحقيقة ومحل المجاز، فينقل من دلالة المعجمية إلى دلالة علمية جديدة، فتنحول "الكلمة" أو "اللفظ" إلى "مصطلح". ويعد المجاز وسيلة مهمة تستعين بها اللغة كي تطور نفسها بنفسها، مكتفية في ذلك بوحداتها المعجمية الثابتة دوالها المتغيرة مدلولاتها، لتستوعب بذلك دلالات جديدة لا تربطها بالدلالات الأصلية سوى وشائج المناسبة والمشابهة.¹⁴

2.2. الإحياء: وتتعلق هذه الآلية بعملية إحياء وبعث حدود اصطلاحية تراثية، للتعبير عن المفاهيم الحديثة من باب أفضلية إحياء الموروث اللغوي العربي، بالعودة إلى مصطلحاته والاستفادة منها في التعبير عن أغراضنا المتجددة والمستحدثة.¹⁵ فهو يعني أخذ اللفظ العربي القديم ومحاكاة معناه العلمي القديم بمعنى علمي حديث يوازي مضمونه.

3.2 الاشتقاق: وهو توالد وتناسل يتم بين الألفاظ بعضها من بعض، ولا يتحقق ذلك إلا بين الألفاظ ذات الأصل الواحد. ويجب أن تكون العلاقة الاشتقاقية بين الألفاظ محكومة بشروط ثلاثة هي: اشتراك الألفاظ في ثلاثة حروف وخضوعها لترتيب واحد في مختلف المشتقات، واشتراكها في حد أدنى من المعنى الموحد أو تقاطعها في قاسم دلالي مشترك.¹⁶

وقد ازداد الاشتقاق ثراء ونماء مع انفتاح التشريع اللغوي العربي الحديث على الاشتقاق من أسماء الأعيان والأسماء الجامدة، ووضع أوزان قياسية جديدة للكثير من المشتقات، وسن ضوابط قياسية لاستحداث أفعال جديدة لم تكن معهودة في المعجم العربي القديم، يضاف إلى ما سبق ذكره استمرار القياس على السماع المحدود أو الشاذ.¹⁷

4.2 النحت: يعد النحت رافد من روافد اللغة العربية، يمدّها بمفردات منحوتة من مفردتين فأكثر قصد تأدية معنى جديد يخالف المعاني السابقة للكلمتين، وفيه اختصار وتوسعة وخفة فالاختصار أن نختصر كلمتين بوضعنا إياهما في كلمة واحدة، مثل بسم الله فنقول: بِسْمَل. والتوسعة أن نأتي بمشتقات هذه الألفاظ المختصرة الملحقة بالأفعال، ففعل "بسمَل" فعل ملحق بالرباعي مثل (دحرج)، ومصدره (بسمَلَة) مثل دحرجة، واسم الفاعل مبسمَل كمدحرج، أما الخفة فظاهرة من الألفاظ المنحوتة سمعا ونطقا ولا تستدعي منا التعليل والتمثيل.¹⁸

وعلى الرغم من الأهمية النظرية للنحت في مجال التوليد الاصطلاحي والإنماء اللغوي، فهناك شبه إجماع لدى الباحثين المعاصرين على ضرورة تجنبه قدر المستطاع أثناء الوضع الاصطلاحي واللغوي عامة. لأن الإفراط فيه والإكثار منه بغير شروط ولا ذوق يقود إلى الاصطدام بالألفاظ هجينة غريبة مفاهيمها، مذيّلة بهوامش طويلة تبين أصولها وتشرحها، فتغدو بذلك الجملة الاصطلاحية الطويلة أفضل فهما وأهون شرا على المفهوم من المصطلح المفرد المهم المنحوت.¹⁹ لأن النحت أصل من أصول اللغات الهند وأوربية ذات الطبيعة الإلصاقية، وميزته أنه موكل إلى الاستعمال فليس له قاعدة واحدة ثابتة.

5.2 التعريب: تعرّف العربية بأنها اللسان الذي نزل به القرآن الكريم، وهي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ الأول للبشرية، فبعد نزول القرآن الكريم تداول الأقوام والأمم مفرداته بالبحث والتنقيب، والتأصيل والتحليل، والتفسير والتأويل، فعرفوا الأصل من الهجين والمشتق من الدخيل.

ولقد كان العرب بحاجة للتعبير عن أشياء لا أسماء لها في لغتهم، غالبا ما كانت طارئة على البيئة العربية، فاضطروا ملء هذه الفراغات ووضع أسماء لها فلم يجدوا إلا التعريب. فانشغل اللغويون القدماء بظاهرة المغرب والدخيل وأفاضوا في دراستها وتفسيرها وتعليلها، فالدخيل هو كل لفظ أجنبي دخل العربية ولم يندمج في بنيتها، وبقي محافظا على خصائصه الصوتية والصرفية، أما "المغرب" فهو كل لفظ استعمله العرب من أصل غير عربي، ولكنهم كتبوه بحروفهم العربية، ووزنوه بأوزانهم، وعاملوه معاملة ألفاظهم العربية.²⁰

ولما تضاعف حجم التبادل اللغوي والمعرفي بين الشعوب، ازدادت الحاجة إلى الاقتراض أو التعريب لتنمية هذا التبادل وتطوير الاتصال الثقافي، وتفعيل التكامل الحضاري وتكثيف التواصل الإعلامي. فأصبح التعريب بذلك مظهرا من مظاهر العولمة والانفتاح.

6.2 الترجمة: وتعني نقل معنى كلمة من لغة إلى أخرى، ويشترط فيها أن تتشابه مفاهيم أصول الدلالة اللغوية، وبمعنى آخر هي أن ننقل المصطلح الأجنبي الأصلي إلى اللغة العربية بمعناه لا بلفظه أي أن نترجم دلالاته أو معناه. فعملية الترجمة تعني أن يختار المترجم ما شاء من الألفاظ العربية مراعي المعنى المقابل للمصطلح الأجنبي.

وعلى هذا الأساس نشأ كم هائل من المصطلحات والأسماء مختلفة الخلقة ومتعددة الجنسيات، وراح بعض المترجمين يدعون صواب ترجماتهم مخطئين ترجمات الآخرين. ونذكر على سبيل المثال لا الحصر مصطلح (Linguistique)، الذي تباينت حوله الترجمة العربية، وتجاوزت أكثر من ثلاثة وعشرين مصطلحا مترجما كما أثبت ذلك عبد السلام المسدي.²¹

ولا يختلف ذلك في حقل "نحو النص" الذي ترجمت جل مصطلحاته إلى اللغة العربية، فوقع الاختلاف والتباين في الترجمة، فتعدد المصطلح العربي المترجم المقابل للمصطلح الأصلي. وهذا ما سنتطرق إليه بجانب من الشرح والتوضيح مع الجمع والتمحيص في تحليلنا لإشكالية تعدد المصطلح في حقل "نحو النص" وتباين الآراء حول توحيد.

3. إشكالية تعدد المصطلح العربي في نحو النص وصعوبة تويده:

1.3. مظاهر التعدد المصطلحي في تسمية هذا العلم:

تتعلق الفروع اللسانية فيما بينها، مشكلة بذلك نسيجاً متشابكاً تتميز فيه المصطلحات بالنظر إلى نظيراتها في كل فرع، وهذا ما يضيف على ترجمة المصطلحات مشقة خاصة من جهة، ويسهم في تعدد المصطلحات المترجمة المقابلة للمصطلح الواحد الأصلي من جهة أخرى.

"نحو النص" يتميز بهذا التشابك والتعلق مع فروع أخرى، كالتداولية وتحليل الخطاب ولسانيات النص، بل إن هذه المصطلحات الثلاثة الأخيرة كانت تطلق أحياناً مرادفاً لها الميدان نفسه لأن موضوعها تحليل الخطابات باختلاف أنواعها. وهذا ما وضعه تودوروف في قوله: "الدراسات الحديثة التي تأخذ من الخطابات موضوعاً لها... وتحت أسماء متنوعة، ... وهي مختلفة عن اللسانيات في كونها لا تصف اللغة والآليات النحوية وهي تأخذ أسماء مثل: التداول والبلاغة، واللسانيات النصية، ... وأسماء أخرى دون شك."²²

ولا تتحدد خصوصية "نحو النص" من جهة موضوعه الدقيق أو من جهة منهجه - فحسب- ولكنها تتحدد كذلك من جهة الأهداف التي حددها له المؤسسون، هذه الأهداف التي تشكلت بفعل الأسئلة المطروحة والنقائص المستشعرة في النظرية اللسانية البنوية في الدراسة اللسانية للجملة.

يهدف نحو النص إلى خدمة مقتضيات موضوعه الجديد، وهو النص ببيان خصائصه ومميزاته، ووصف بنيته اللغوية والدلالية، ودراسة ظروف إنتاجه وكيفية تلقيه وطريقة تداوله، وعلاقته بالسياقين الثقافي والاجتماعي الذي ينتج ويؤول فيهما.

ولا يكمن تحقيق هذه الأهداف إلا عن طريق آليات التحليل النصي التي تكشف عن الترابط الشكلي للنص، وتماسكه الداخلي ليشكلا بدورهما مفهوم النصية وهذه الآليات لها مصطلحات عربية مترجمة عن اللغات الأجنبية، وتعود في الأصل إلى المدرسة اللسانية التي انبثق عنها هذا المصطلح المترجم إلى اللغة العربية.

وهذا ما جعل نحو النص-على غرار حقول معرفية ولغوية أخرى- يعاني أزمة تعدد المصطلحات، إذ بقي حقل نحو النص "GRAMMAR OF THE TEXT" متداخلا مع حقول لسانية أخرى، بل تشترك مصطلحاته مع مصطلحات هذه الحقول، ويمكن القول أنها متشابهة ومتطابقة، مثل مصطلحات (لسانيات النص) المقابل للمصطلح الأجنبي "TEXTUAL LINGUISTIC"، والذي استعمله اللسانيون النصيون للدلالة على تيار جديد يهدف إلى الوصف البنيوي أي الدراسة اللغوية للأبنية النصية ووسائل الترابط النصي وكل ما يتصل بالنص وظروف إنتاجه. وهو لا يختلف عن "نحو النص"، إذ يصنفان ضمن الحقول اللسانية المتعاقبة والمتشابهة، كما أشرنا سابقا من خلال قول تودوروف، لأنهما يهتمان بدراسة العناصر المكونة للنصوص وعلاقتها بالسياق الذي أنتجت فيه وبمنتجها ومستقبلها، فجاءت مصطلحات الحقلين متطابقة حاملة للمفاهيم نفسها لأن بعض المصطلحات ذات علائق شديدة بمصطلحات أخرى لدلالاتها على معانٍ متقاربة.²³

لكن أغلب الدراسات العربية المتعلقة بنحو النص أو لسانيات النص لم تتفق حول ترجمة واحدة لتسمية هذا العلم ومن أبرز هذه التسميات: لسانيات النص، لسانيات الخطاب، لسانيات نصية، علم اللغة النصي، علم لغة النص، نحو النص، نحو النصوص، أجرومية النص، تحليل النص، نظرية النص، علم النص... وغيرها من التسميات.

وإن كان بعض هذه المسميات حقا لا يرادف نحو النص، فعلم النص "TEXTOLGY"، يوسع من نطاق التحليل ولا يقتصر على النصوص الأدبية الشعرية أو النثرية فقط، بل يوسع مجال بحثه إلى أنواع أخرى، كالإعلان الإشهاري والمقال الصحفي والأفلام السينمائية، وكل ما يرتبط بالثقافة المعاصرة وما ينتج عنها من نصوص.²⁴

2.3 مصطلحات التحليل النصي ومعاييرها في الدراسات العربية:

احتلت النصية "Textuality" مكانا مرموقا في الدراسات اللسانية المهمة بتحليل النصوص وتفسيرها وتحديد أنماطها وخصائصها، فهي تسعى إلى تحديد وسائل بناء النص وآليات اتساقه وانسجامه، وتحقيق التماسك النصي بين وحدات الأبنية اللغوية.²⁵ ولقد تبنت الدراسات اللسانية الحديثة مفاهيم جديدة للنص، تنطلق من كونه وحدة كبرى تربط بينها علاقات نحوية وتصورات كلية تتمثل بعلاقات التماسك الدلالي، وقد ترجم الألسنيون والمهتمون بالدراسات اللغوية مصطلحات جديدة، تتعلق بجملة من المعايير والآليات التي ينتظم بها النص ويحقق ما يسمى بالنصية.

وقد وقع اختيارنا على مصطلحات المعايير النصية²⁶ التي جاء بها "روبرت دي بوجراند" في كتابه "النص والخطاب والإجراء"، لنقدم كيف نقلها وترجمها علماء نحو النص، فوجدنا ترجمات عربية متعددة للمصطلحات الأجنبية التي تحمل هذه المفاهيم المحققة للنصية، وحاولنا أن نذكر بعضها كمثال توضيحي:

-(COHESION): لقد ترجم إلى مجموعة من المصطلحات العربية منها: الاتساق وهو الأكثر استعمالا وتداولاً في ترجمات المغاربة، اعتمده محمد خطابي في كتابه "لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب"، واعتمده كذلك محمد الشاوش، وترجم إلى السبك وقد اعتمد هذه الترجمة أشرف عبد البديع عبد الكريم في كتابه "الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم"، وترجم بالترابط الرصفي عند أحمد مداس في كتابه "لسانيات النص"، وترجمه محمد الأخضر الصبيحي بالانسجام في كتابه "مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه".

أما يحيى بن طاهر ناعوس وإلهام أبو غزالة فقد اعتمدا مصطلح النظام ، وترجمه بعض الباحثين إلى الربط اللفظي كما جاء في كتاب "علم لغة النص النظرية والتطبيق" لعزة شبل محمد.

-(COHERENCE): الانسجام وهو المصطلح الأكثر تداولاً واستعمالاً عند المغاربة، واعتمده محمد خطابي في كتابه السابق ذكره، أما أشرف عبد البديع فترجمه إلى الحبك، وترجم إلى التماسك المعنوي عند عزة شبل محمد، وترجمه أحمد عفيفي إلى التماسك، ومحمد الأخضر الصبيحي اعتمد مصطلح الاتساق.

-(INTENTONALITY): القصدية عند كل من محمد خطابي ويحيى طاهر ناعوس وإلهام أبو غزالة، وترجمه تمام حسان -في ترجمته لكتاب" النص والخطاب والإجراء"-بالقصد، أما محمد الأخضر الصبيحي في كتابه "مدخل إلى علم النص" فقد ترجمه إلى المقصدية والملاحظ أن الترجمة متطابقة في الجذر الاشتقائي مع اختلاف في صيغة الاشتقاق.

-(ACCEPTABILITY): ترجمه محمد خطابي إلى المقبولية ، ويحيى طاهر ناعوس إلى التقبيلية، وتمام حسان إلى القبول.

-(SITUATIONALITY): ترجمه محمد خطابي بالمقامية إحياء للتراث البلاغي تناسبا مع لفظ "المقام"، ويحيى طاهر ناعوس وإلهام أبو غزالة بالموقفية وكذلك ترجمه أشرف عبد البديع عبد الكريم ، وفضل تمام حسان ترجمته "برعاية الموقف"، ومحمد الأخضر الصبيحي فقد ترجمه إلى "السياق".

-(INTERTEXTUALITY): فترجم بشبه الاتفاق "بالتناس" على الرغم من تعدد ترجمة هذا المصطلح في حقل الدراسات النقدية.

-(INFORMATIVITY): ترجم بالإعلامية عند كل من خطابي وإلهام أبو غزالة ويحيى طاهر ناعوس، وترجمه عبد البديع عبد الكريم بالإخبارية.

ولعل هذه المصطلحات الحديثة والمفاهيم الجديدة التي دخلت معجم المتلقي العربي بشكل متسارع ملحوظ، قد ترجمت بدلالاتها مما دفع العديد من الدارسين والمترجمين إلى انتهاج التأويل والتفسير وسيلة لترجمة مضامين المناهج اللسانية، ومنها

معاني آليات التحليل النصي ومعايير، لأن نحو النص يعد نظرية غربية جديدة وافدة وليست نظرية لسانية عربية خالصة و جل مصطلحاتها تحتاج إلى التأويل والتفسير.

ومن الواضح أن عملية التأويل لا تخلو من الاجتهادات الفردية والاستيعاب الشخصي وهذا ما يفسر الاختلافات بين المترجمين، فغلبة الجهود الفردية فيما ترجم من مصطلحات أدى إلى إنتاج مسميات متعددة للمصطلح الأجنبي الواحد، فأصبح لكل جماعة خطابها الخاص الذي تتمسك به، وتنظر إليه باعتباره معيارا للحقيقة فتنظر إلى التأويلات أو الترجمات الأخرى على أنها ليست صحيحة.²⁷ فيقف الدارس على واقع التعدد الاصطلاحي الذي يشكل أزمة للغة العربية عامة، وللتحليل النصي العربي بصفة خاصة، وهذا ما يضع المتعلمين والدارسين في بداية تلقيم لهذا التخصص في دوامة حيرة وتشتت معرفي لاختيار المصطلح المترجم المناسب واعتماده في بحوثهم الأكاديمية.

ومن خلال هذا العرض الوجيز والبسيط لترجمة مصطلحات معايير النصية "لدي بو جراند"، نجد أن الأزمة تتعلق بوضع مصطلحات عربية عديدة للمصطلح الأجنبي الواحد، ومرجعية ذلك المنهجية أو الطريقة التي يعتمدها الباحثون في نقلهم لمضمون المصطلح الغربي إلى اللغة العربية، حيث تتأرجح خياراتهم بين الترجمة وتقنياتها المعروضة، ومنها إيجاد مصطلحات عربية الصياغة تناسب مع دلالة المصطلحات الأصلية. يضاف إلى ذلك اختلاف روافد الترجمة، فالمشاركة يترجمون عن اللغة الإنجليزية، بينما يفضل المغاربة الترجمة عن اللغة الفرنسية.

ولقد أثر مترجمو مصطلحات نحو النص إيجاد مصطلحات عربية تحمل المفهوم ذاته للمصطلح الأجنبي، إلا أنهم لم يتفقوا على مصطلح واحد. فتداخلت المصطلحات وتعددت وهذا ما نبه إليه يوسف وغليسي، فأشكالية التعدد المصطلحي ووجه الإغراب فيه مرجعيته أن المصطلحات الأجنبية قد تنقل بمصطلحات عربية مبهمة المفاهيم والحدود، أو أن المفهوم الغربي الواحد قد ينقل بعشرات المصطلحات العربية المرادفة له، أو أن المصطلح العربي الواحد قد يرد مقابلا لمفاهيم غربية في الوقت نفسه.²⁸ وهذا ما يصعب توحيد الجهود العربية لترجمة المصطلحات وتأطيرها،

لكبح جماح هذه التعددية المصطلحية وما أحدثته من فوضى معرفية ومنهجية نظريا وتطبيقيا.

خاتمة:

يمكن القول أن ما قدمناه من مصطلحات تعاني أزمة التعدد في حقل نحو النص، ما هو إلا غيض من فيض، فهناك الكثير من المصطلحات التي لم يسعنا ذكرها والتي تندرج ضمن اللسانيات عامة وآليات ووسائل التحليل النصي بصفة خاصة ولها صلة وثقى بنحو النص.

إن أهم ما يجعل حقل نحو النص -على غرار غيره من الحقول اللسانية والنقدية- يعاني حالة الاضطراب هو حداثة المصطلحات اللسانية النصية المترجمة مقارنة بميلادها واستقرارها في الدراسات الغربية، يضاف إلى ذلك اختلاف مصادر التكوين العلمي للسانيين وتباين تصوراتهم المعرفية، واعتماد الدرسين اللساني والنقدي العربيين الحديثين على المنجز الغربي ومناهج تحليله وإجراءاته التطبيقية.

كما أن تنوع آليات توليد المصطلحات وتعددتها تعد سببا في هذه الأزمة المصطلحية، فكل باحث أو مترجم يلجأ إلى اعتماد طريقة معينة لنقل المصطلح، حتى صار النقل العربي للمصطلحات الغربية يعيش واقعا مصطلحيا مشوشا ومضطربا، لأن جميع الفروع اللسانية- بما فيها "نحو النص"- تبقى فروعاً علمية جديدة وافدة على اللغة العربية وعلومها، إلا أن لهذه الفروع اللسانية الغربية بذورها في التراث اللغوي العربي، وهذا ما أحدث إرباكا لدى المتخصصين في نقل المصطلحات اللسانية -ومنها مصطلحات نحو النص- وترجمتها، لأنهم -غالباً- ما يراعون في ذلك المواءمة بين المصطلحات الغربية الحديثة وما يقابلها من حدود ومفاهيم عربية تراثية.

*** **

الهوامش:

- ¹ ينظر: عمار ساسي، المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة. ط1، عالم الكتب الحديثة الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، 2009، ص ص4.5.
- ² البقرة: الآية 31.
- ³ ينظر: علي الزركان، الجهود اللغوية في المصطلح العلمي الحديث، دط، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1998، ص 457.
- ⁴ ينظر: الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تح: محمد الصديق المنشاوي، دط، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، دت، ص 27.
- ⁵ محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دط، مكتبة غريب، القاهرة، 1993، ص ص 11، 12.
- ⁶ ينظر: وفاء كامل قايد، المجامع العربية وقضايا اللغة، من النشأة إلى أواخر القرن العشرين، ط1، عالم الكتب الحديث، 2004، ص 140.
- ⁷ ينظر: سالم علوي، الشجاعة العربية، ص 78.
- ⁸ ينظر: عمار ساسي، صناعة المصطلح في اللسان العربي، نحو مشروع تعريب المصطلح العلمي من ترجمته إلى صناعته، ط 1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012، ص 89.
- ⁹ أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط2، دار الكتب المصرية، 1955، ج1، ص40.
- ¹⁰ عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2010، ص581.
- ¹¹ وفاء كامل قايد، المجامع العربية وقضايا اللغة، ص 140.
- ¹² ينظر: محمد علي الزركان، الجهود العربية في المصطلح العلمي الحديث، ص 49، 70.
- ¹³ ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص 11.
- ¹⁴ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة 84.
- ¹⁵ ينظر المرجع نفسه، ص 85.
- ¹⁶ ينظر المرجع نفسه، ص ص80-81.
- ¹⁷ ينظر: المرجع نفسه ص83.
- ¹⁸ - ينظر: سالم العلوي، شجاعة العربية، ص ص83، 84.
- ¹⁹ ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، ص ص91-94.
- ²⁰ ينظر المرجع نفسه، ص ص87، 88.
- ²¹ ينظر: عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ط1، الدار العربية للكتب، تونس، 1984، ص72.
- ²² تزفيتان تودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط2، دار توبقال، الدار البيضاء، 1990، ص 16.

²³ ينظر: مسعود شريط، ترجمة المصطلح اللساني في اللغة العربية أزمة تمثل المفاهيم أم موضوعة اختلاف، مجلة إشكالات، العدد 12، 2017، ص 103، 104.

²⁴ ينظر: حسين خمري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص 27-29.

²⁵ ينظر: نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب - دراسة معجمية -، ط2، جدارا للكتاب العالمي، عمان، 2010، ص 140.

²⁶ ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1998، ص 103.

*- أكد "أحمد عفيفي" في تدقيق توثيقي له: أن الأصوب أن ينسب تأسيس هذه المعايير إلى "دي بوجراند" بمفرده لأسبقية كتابه: "النص والخطاب والإجراء". مصرحا فيه بالملكية الفكرية للاقتراح، مقارنة بكتابه: "مدخل إلى لسانيات النص" الذي ألفه مع "دريسler". وتنسب المعايير إليهما في العادة. ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص: اتجاه جديد في الدرس النحوي، ط1، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2001، ص 75.

²⁷ ينظر: مسعود شريط: ترجمة المصطلح اللساني إلى اللغة العربية أزمة تمثل المفاهيم أم موضوعة اختلاف، ص 108.

²⁸ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص 55.